وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت / كلية التربية للبنات
قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية
الدراسات الاولية / بكالوريوس

المحاضرة الثامنة: في الاداب النفسية للتفسير

المرحلة : الثانية

مدرس المادة:

م. سبأ علي مزهر

الايميل الجامعي:**sMizher@tu.edu.iq**

في اداب التفسير / ومنها الاداب النفسية

المراد بالآداب النفسية مجموعة الصفات والمَلَكات التي يتنامى بها الكمال الذاتي في تهذيب النفس وصيانتها عن الزيغ والانحراف بحيث يطمئن معها إلى الجانب الروحي عند الإنسان فضلاً عما يتمتع به من حيطة وحذر، وما يناسب ذلك إصلاح السريرة، ولزوم الطاعة ونقاء الضمير، مما يُهيء للنفس التدبّر في القرآن، والتفكّر في أسراره، من صحّة في الاعتقاد، وإخلاص في النية، وتفويض الأمور إلى اللهِ، وطلب العون منه في مجال المعرفة والكشف والأستزادة العلمية.

انّ ما يكون بهذا السبيل يمكن إجمال معالمه بالمؤشرات الآتية على سبيل المثال والنموذج لا الحصر والاستقصاء.

أ- صحة الاعتقاد:

وهذا أمر ضروري تمليه طبيعة الإيمان بأنّ القرآن هو الكتاب المنزل على نبيّه المرسل دون زيادة أو نقصان، والنظر إليه بمنظور مقدس، ليكون الباحث في مضامينه مفسراً جادّاً، تنبعث عقيدته من داخل النفس الإنسانية فيصبح ما يخطه يمينه نابعاً من صميم ضميره، حقيقة لا تقبل جدلاً، وعقيدة لا يداخلها ريب، يعمل بهديها ويستضاء بألقها. أمّا الغوغائية في التفسير والتي لا تمت إلى العقيدة بصلة الوعي الهادف فهي نوع من الهذر والثرثرة يعبر بهما عن ثقافة سطحية تعتمد التحريف تارة، والتضليل تارة أخرى، ويكون همها خلط الحابل بالنابل، وهدفها إلقاء الحبل على الغارب، دون أداء أمانة أو تحمّل مسؤولية، وهنا يكمن الخطر الهدام الذي يهدّد تراث الأُمّية ويستهدف مجدها الشامخ، لهذا يجب مراعاة ذلك بل مجابهته بالتحرز من كيد المنحرفين، وجملة من شبهات المستشرقين، وكثير من حملات ذوي العاهات النفسية والفكرية ممن يديفون السم بالعسل.

ب- الأخلاص والتفويض:

وإذا كان الاعتقاد خالصاً من كلّ شائبة، جاء إخلاص النية مكملاً للنفس الإنسانية من كلّ نقيصة، لا سيما إذا اقترن الإخلاص بالتوكل على اللهِ والتفويض إليه، بتخليص النفس من الآفات والدواعي، وليتسم العمل بصحّة الخاطر والفطرة، ونقاء القلب والسريرة، وأبرز مظاهر ذلك الحريجة في الدِّين، الورع عن المعاصي، والزهد في الدنيا، والتوجه نحو الله في السرّاء والضراء، وهذا ما يهب الإنسان من المواهب معيناً لا ينضب، فقد ورد في الأثر: "العلم نور يقذفه الله في قلب مَن يشاء" على أن يكون هذا القلب مجانباً لهواه، متبعاً لأمر مولاه، متفقهاً في الكتاب للهِ، يعمل بعلمه، ويعلّمه غيره، فعن الإمام جعفر بن محمّد الصادق (ع) أنّه قال: "مَن تعلّم العلم، وعمل به، وعلّم لله: دعي في ملكوت السماوات عظيماً، فقيل: تعلّم لله وعمل لله وعلم لله".

ج- التدبّر والتفكّر:

التدبّر في آيات القرآن، والتفكّر بمعانيه ومراميه، من أبرز سمات المفسر الهادف، فكلّ آيات القرآن تدعو إلى التدبّر، وكلّ معانيه تستأهل التفكّر، وبهما يستعصم المفسر من الخطأ في التفسير، ويتحرز عن الإسفاف في التقرير، فتكون أحكامه عن بصيرة، وتصدر أراؤه عن دراية، إذ طبيعة التدبّر الواعي والتفكّر الجاد مصاحبة التأمّل واليقظة والترصد، وكلّ أولئك مؤشرات دقيقة تستفرع الجهد، وتتحكّم في الاجتهاد، وإذا استفرغ المفسر جهده، وأقام على الاجتهاد حقائق ما يتوصل إليه، كانت النتائج أكثر أصالة، والآراء أسد تصويباً، ووصل التفسير إلى الكشف مراد الله.

علم الموهبة:

وقد رجّح السيوطي (٩١١ هجري) أن يتمتع المفسر نفسياً بعلم الموهبة، وهو ليس من العلوم المكتسبة، ولا من الفنون التعليمية المحصلة، وإنما المراد به الفيض الربّاني والعلم الديني استناداً إلى قوله تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (الكهف/ ٦٥) وإليه الإشارة بحديث: "مَن عمل بما علم، ورّثه الله علم ما لم يعلم" وهو بهذا علم يورّثه الله تعالى لمن عمل بما علم.

ولعلّ المراد بعلم الموهبة: الإيحاءات التي تعترض خاطر الإنسان وتحتشد في ذهنه، فيصيبها في تفسيره دون تلقيها من أحد، أو اكتسابها من جهة، بل هي انقداح بالفكر، وبداهة من الفطرة تشقّ طريقها إلى النفس استئناساً بشفافيتها ونقائها، ويكون مصدر ذلك حينئذ هو الله تعالى بالموهبة والإيحاء، لا بالكسب والمعرفة، ولا يتأتى ذلك لكلّ فرد، ولا يفوز به إلّا الصفوة المختارة في كلّ جيل، وملاك ذلك هو الصفاء الروحي والتوجه نحو الله.